## مجمع نيقية بين المصادر القديمة والإضاءات الحديثة

قراءة في كتاب: *Fontes Nicaenae Synodi (2024)*

جورج إسحق

يُعَدّ مجمع نيقية الأوّل (325م) منعطفًا تاريخيًّا بارزًا في مسار المسيحيَّة، ليس فقط لكونه أوّل مجمع مسكونيّ يجمع الأساقفة من شتى أنحاء الإمبراطورية الرُّومانيَّة، بل لأنَّه شكَّل نقطة تلاقٍ بين الدِّين والسِّياسة، وبين العقيدة والسُّلطة الإمبراطوريَّة. فقد دعا الإمبراطور قسطنطين الكبير إلى عقد المجمع في مدينة نيقية (Nicaea)في بيثينيا، في إطار جهوده لتوحيد الإمبراطورية دينيًّا بعد أن توحّدت سياسيًّا تحت سُلطته.

السَّبب المباشر لانعقاد المجمع كان النِّزاع اللَّاهوتيّ الذي أثاره الكاهن السّكندريّ أريوس، الذي أنكر أزليّة الابن، وعدَّه مخلوقًا أسمى، لكنَّه ليس مساويًا للآب في الجوهر. هزَّ هذا الجدل الكنيسة في الإسكندريَّة، وسرعان ما انتشر منها إلى أنحاء الإمبراطوريَّة، مُهدِّدًا وحدة الكنيسة ومكانتها في المجتمع الرُّومانيّ. ومع ذلك، لم تقتصر أعمال المجمع على القضيَّة الأريوسيَّة، بل تناولت موضوعات تنظيميَّة وطقسيَّة، مثل تحديد موعد الاحتفال بعيد القيامة، ومعالجة الانقسامات المحليَّة كالأزمة الميليتيَّة في مصر، وسنّ عشرين قانونًا كنسيًّا لتنظيم الحياة الكنسية والانضباط الأسقفيّ.

أبرز ما خرج به المجمع كان صياغة "**قانون الإيمان النيقاويّ**"، الذي أكد أنَّ الابن ὁμοούσιος" "τῷ Πατρί (مساوٍ للآب في الجوهر). أصبح هذا التَّعريف العقديّ حجر الزَّاويَّة في اللَّاهوت المسيحيّ، وأساسًا لكلِّ المجامع اللَّاحقة التي رسّخت عقيدة الثَّالوث. ومن هنا، لم يكن مجمع نيقية مجرد اجتماع عابر، بل لحظة تأسيسيَّة أعادت رسم ملامح الإيمان المسيحيّ، وأعطت الكنيسة لغة عقديَّة موحدة في مواجهة الانقسامات.

أما عن أثره التَّاريخيّ، فقد كان مزدوجًا: فمن جهة، رسّخ المجمع سلطة الكنيسة الجامعة في تحديد الإيمان، ومن جهة أخرى، أدخل السُّلطة الإمبراطوريَّة طرفًا فاعلًا في النِّزاعات العقديَّة، وهو ما فتح الباب

لاحقًا لعلاقة متشابكة بين الكنيسة والدَّولة امتدت قرونًا طويلة. كما أنَّ قرارات المجمع انعكست على تطور الليتورجيًّا، والجدل اللَّاهوتيّ، وبناء الهُويَّات الكنسيَّة، بحيث أصبح نيقية معيارًا يُحتكم إليه في كل جدل عقديّ لاحق.

وعليه، نستطيع القول إنَّ نيقية لم يكن مجرد حدث عقديّ ضيّق، بل كان لحظة تلاقت فيها السِّياسة بالدِّين، والتَّقليد بالابتداع اللَّاهوتي، ما يفسّر استمرار تأثيره حتَّى اليوم. وأنا إذ أكتب هذه القراءة، أجد نفسي أعود إلى نيقية لا باعتباره حدثًا ماضيًا فقط، بل بصفته منعطفًا فكريًّا ما زال يُلقي بظلاله على تاريخ العقيدة المسيحيَّة.

**مصادر مجمع نيقية: الكتاب والمُحرِّر**

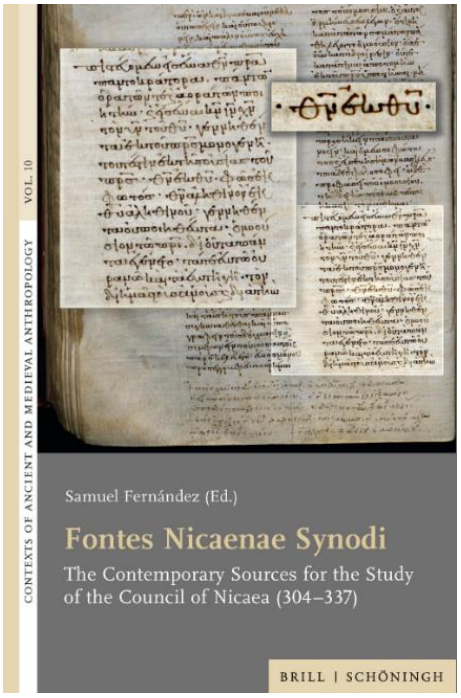


يأتي كتاب *Fontes Nicaenae Synodi: The Contemporary Sources for the Study of the Council of Nicaea (304–337)* إضافةً محوريَّةً في ميدان الدِّراسات النّيقويَّة، وذلك لعدة أسباب جوهريَّة. **أوّلها** أنّه يصدر في لحظة تاريخيَّة ذات دلالة؛ إذ يتزامن مع الذِّكرى الـ1700 لانعقاد مجمع نيقية (325–2025م)، ما يفتح المجال لإعادة قراءة هذا الحدث المؤسِّس في تاريخ المسيحيَّة بعيون جديدة. **وثانيها** أنّ الكتاب لا يكتفي بإعادة نشر الوثائق المعروفة، بل يسعى إلى جمع النُّصوص المُعاصرة للمجمع (رسائل، قوانين، مراسيم إمبراطوريَّة، نصوص لاهوتيَّة) وترتيبها في إطار زمني يغطي من عام 304 حتى وفاة قسطنطين في 337م، وهو نطاق زمنيّ أوسع من معظم المراجع الكلاسيكيَّة.

في رأينا، تكمُن أهميَّة العمل أيضًا في منهجيَّته النَّقديَّة؛ فهو يوفّر نصوصًا باليونانيَّة واللَّاتينيَّة والسّريانيَّة مصحوبة بترجمة إنجليزيَّة حديثة، مع هوامش نقديَّة دقيقة توضّح اختلافات المخطوطات. هذه المقاربة المزدوجة

تمكّن الباحث من التَّعامل مباشرة مع المادة الأصليَّة، وفي الوقت ذاته تتيح للقارئ غير المختص في اللّغات القديمة الوصول إلى مضمون النُّصوص. من وجهة نظري، يشكّل هذا توازنًا نادرًا بين الصَّرامة الأكاديميَّة والانفتاح على جمهور أوسع من القُرَّاء.

كما يتميّز الكتاب كذلك بإعادة ربط النُّصوص الجديدة بالرُّموز المرجعيَّة التي استخدمها هانز أوبتز Hans-Georg Optiz في عمله الكلاسيكيّ وثائق تاريخ النِّزاع الأريوسيّ *Urkunden zur Geschichte des Arianischen Streites* المنشور بين 1934-1935م. هذه الخطوة ليست تفصيلًا تقنيًّا فحسب، بل هي جسرٌ يربط بين الدِّراسات التَّقليديَّة والدِّراسات الحديثة، ويتيح للباحثين مقارنة مباشرة بين النُّصوص كما حُفظت في القرن العشرين وبين إعادة تحريرها وَفق معايير القرن الحادي والعشرين.

من هنا، يمكن القول إنَّ أهميّة *Fontes Nicaenae Synodi* تتجاوز مجرد كونه تجميعًا جديدًا للمصادر؛ فهو مشروع لإعادة كتابة تاريخ نيقية من خلال نصوصها الأولى، بمنهج نقديّ يوازن بين التَّحقيق العلميّ والدِّراسة التَّاريخيَّة–اللَّاهوتيَّة. ولهذا فإن الكتاب يُعدّ اليوم مرجعًا لا غنى عنه لكلِّ دارس لتاريخ المجامع المسكونيَّة، وعقيدة الثَّالوث، وتاريخ الكنيسة في القرن الرَّابع، بل وأداة قيِّمة للباحثين العرب الذين يسعون إلى إعادة قراءة نيقية في سياقهم المحلي.

يحمل الكتاب عنوان: *Fontes Nicaenae Synodi: The Contemporary Sources for the Study of the Council of Nicaea (304–337)*، وقد حرّره Samuel Fernández Eyzaguirre ونشرته دار Brill–Schöningh في بادربورن – ألمانيا عام 2024. صدر في نسختين: إلكترونيَّة في يونيو، ومطبوعة في يوليو، وجاء في حوالي 302 صفحة، متضمّنًا نصوصًا أصليَّة في اليونانيَّة واللَّاتينيَّة والسّريانيَّة مع ترجمات نقديَّة إلى الإنجليزيَّة. أتى نشر الكتاب في إطار الاستعداد لإحياء الذكرى الـ 1700 لانعقاد مجمع نيقية عام 2025، ما يضاعف من قيمته الأكاديمية والاحتفاليَّة.

من اطلاعنا على بيانات النشر، نجد أنَّ الكتاب يعبّر عن مرحلة جديدة في تحرير مصادر نيقية، حيث يجمع بين الدِّقة الأكاديميَّة والقدرة على الوصول إلى جمهور أوسع من الباحثين بفضل التَّرجمة الإنجليزيَّة. لعلَّنا نراه قريبًا في ترجمة عربيَّة رصينة تليق بالعمل، وتروي عطش القارئ والباحث العربيّ!

أمَّا عن مُحرِّر العمل صموئيل فرنانديز Samuel Fernández فهو أحد أبرز الباحثين في مجال لاهوت القرون الأولى. يعمل فرنانديز أستاذًا في جامعة كاثوليكيَّة في تشيلي، سِيمَ كاهنًا عام 1992، وحصل على الدكتوراه في اللَّاهوت وعلوم آباء الكنيسة من معهد أوغسطينوس لآباء الكنيسة في روما عام 1997. وهو حاليًا محاضر دائم في كلية اللَّاهوت بالجامعة البابويَّة الكاثوليكيَّة في تشيلي، وكان عميدها بين عامي 2004 و2009. تشمل مجالات بحثه الأصول السَّكندريَّة، وتاريخ التَّفسير الآبائيّ، وأزمة الأريوسيَّة في القرن الرَّابع، وتطور اللَّاهوت الثَّالوثيّ. كرّس جزءًا من بحثه لمراجعة وترجمة نصوص آبائيَّة، مثل كتاب "في المبادئ الأولى" لأوريجانوس (2015)، و"رسالة المجمع" لهيلاري بواتييه (2019)، و"في المجمع" لأثناسيوس (2019)، والأعمال اللَّاهوتيَّة لمارسيلو الأنقيريّ –أسقف أنقرة ق.4 (2022). باحث مسؤول عن خمسة مشاريع لمؤسسة فونديسيت، ومؤلف مقالات علميَّة منشورة. ويهتم خصوصًا بتراث أوريجانس وأزمة الأريوسيَّة وكتابات أثناسيوس وهيلاريوس. وقد تميّزت أعماله السَّابقة بالمنهج النَّقديّ الصَّارم، الذي يسعى لإعادة النُّصوص إلى لحظتها التَّاريخيَّة بعيدًا عن التَّفسيرات المتأخرة.

من سيرته، أرى أنَّ مُحرِّر *Fontes Nicaenae Synodi* يمثل جيلًا جديدًا من الباحثين الذين يحاولون ربط النَّقد النَّصيّ بتاريخ الفكر، وهو ما يجعل عمله أكثر حيويَّة من مجرد تحرير تِقنيّ.

**بنية الكتاب ومحتواه**

يتألف الكتاب من مقدِّمة منهجيَّة تحدّد إطار الفترة 304–337 (من أزمة الميليتيان إلى وفاة قسطنطين)، ثمّ قسم النُّصوص الذي يجمع الرَّسائل والقوانين والعقائد والمراسلات الإمبراطوريَّة. وتُقدَّم هذه النُّصوص بلغاتها الأصليَّة مع ترجمة إنجليزيَّة موازية وهوامش نقديَّة توضّح الفروق بين المخطوطات. يُختتم العمل ببلوجرافيا وفهارس دقيقة، كما يضيف المُحرِّر جداول مقارنة تربط النُّصوص الحديثة بالرُّموز التَّقليديَّة(.Urk./Dok) المستعملة في طبعات Opitz، مما يُسهِّل على الباحثين المُعاصرين عمليّة المقارنة.

لا يخدم هذا التَّرتيب –في رأينا– الباحث المُختصّ فحسب، بل يفتح المجال أمام القارئ الأكاديميّ العامّ لفهم الخلفيَّات التَّاريخيَّة واللَّاهوتيَّة بطريقة منظَّمة.

تُثير قراءة المصادر الأولى لأي مجمع مسكونيّ تحديات منهجيَّة. فالنُّصوص ليست مُحايدة، بل نتاج صراعات داخليّة، وغالبًا ما نُقلت عبر تقاليد لاحقة تحمل أبعادًا تفسيريَّة خاصّة. هنا يبرز سؤال المنهج: هل نقرأ نصوص نيقية من خلال عدسة أثناسيوس وسُقراطس،[1] أم نحاول العودة إلى سياقها الأصلي؟

يقدِّم *Fontes Nicaenae Synodi* محاولة للإجابة عن هذا السُّؤال عبر إعادة النُّصوص إلى لحظة إنتاجها (iuxta propria principia.) ومن زاويتي كباحث، أرى أنَّ هذا المنهج يُعيد الاعتبار إلى صوت المعاصرين، ويجنبنا الوقوع في أسر الرِّوايات اللّاهوتيَّة اللاحقة التي أعادت صياغة المجمع لصالح أطراف معينة.

ولعل من أبرز إسهامات العمل هي اتساع نطاق التَّغطية فيه، ليشمل قضايا غير الأطروحات الأريوسيَّة، مثل الانقسام الميليتيّ،[2] واعتماد منهج نقديّ يُعيد قراءة النُّصوص في ضوء سياقها الأصليّ، وتقديم ترجمات حديثة تساعد الباحثين غير المُختصّين في اللّغات القديمة، فضلًا عن توفير أدوات مقارنة دقيقة مع المراجع الكلاسيكيَّة.

[1] سُقراطس القسطنطينيّ (Socrates Scholasticus، نحو 380–بعد 439م) مؤرخ كنسيّ وُلِد في القسطنطينيّة، واشتهر بكتابه التَّاريخ الكنسيّ في سبعة كتب، الذي استأنف فيه عمل أوسابيوس القيصريّ وغطّى أحداث القرن الرَّابع وأوائل الخامس، ويُعدّ من أهم مصادر الجدل النِّيقاويّ وما بعده.

[2] ظهر الانقسام الميليتيّ في مصر أوائل القرن الرَّابع بقيادة ميليتيوس أسقف ليكوبوليس، بسبب خلافه مع بطرس السَّكندريّ حول إعادة قبول المرتدين في الاضطهاد الكبير 303-311م؛ وقد أدان مجمع نيقية (325م) حركته وسمح له بالاحتفاظ بلقبه الأسقفيّ مع تقييد سلطاته، لكن الانقسام استمر وتداخل لاحقًا مع النزاع الآريوسيّ.

في الحقيقة، لا يمكن فهم قيمة كتاب مثل *Fontes Nicaenae Synodi* إلّا من خلال إدراك الأثر البعيد لمجمع نيقية. فقد أسس هذا المجمع لإطار عقديّ ظلّ معيارًا للإيمان: ألوهيّة الابن، وحدة الجوهر مع الآب، وإدانة المذاهب المعارضة. ومن هنا، صار قانون الإيمان النِّيقاويّ حجر الزَّاوية في كلِّ الصِّراعات العقديَّة اللَّاحقة، من القسطنطينيَّة (381م) إلى مجمع خلقيدونيَّة (451م).

تتيح قراءة المصادر المعاصرة لنا أن نفهم كيف تبلورت هذه العقائد في لحظتها التَّاريخيَّة، ليس من خلال عدسة اللَّاهوت اللَّاحق فحسب. نرى أنَّ هذا البُعد يعيد إلى الباحث المعاصر القدرة على التَّمييز بين ما هو أصيل في نيقية وما أُضيف لاحقًا عبر قرون.

**مقارنة مع العمل الكلاسيكيّ لأوبتز**

يبقى عمل Hans-Georg Opitz (1934–1935) علامة بارزة في تاريخ الدِّراسات النِّيقاويَّة، إذ جمع في إطار مشروع *Athanasius Werke* وثائق الصِّراع الأريوسيّ، وأمدّ الباحثين بنصوصٍ أصبحت المرجع الأساس لعقود. غير أنّ مقارنته بعمل Fernández تكشف فروقًا جوهرية، ففي حين ركّز أوبتز حصريًّا على النِّزاع الأريوسيّ، بينما توسّع فرناندیز ليغطي الفترة الأوسع (304–337). كما ظلّ منهج أوبتز وفيًّا للتَّحرير التَّقليديّ اعتمادًا على ما كان متاحًا من مخطوطات آنذاك، في حين استفاد فرناندیز من النَّقد النَّصيّ الحديث وقدَّم ترجمات وهوامش توضيحيَّة تسهِّل إعادة قراءة النُّصوص.

تتَّضح قوّة عمل فرناندیز عند النَّظر في تفاصيل نصّيَّة مُحدَّدة. ففي رسالة أريوس إلى يوسابيوس النِّيقوميديّ، يورد أوبتز الصِّيغة: «*ὁ υἱὸς ἐξ οὐκ ὄντων ἐστίν*»، بينما يُثبت فرناندیز قراءة تبدو أوسع: «*ὁ υἱὸς ἐξ οὐκ ὄντων γεγονέναι φησί*»؛ أي إنَّ الابن "قد صار" من العدم، وهو تفصيل يعكس بدقة موقف أريوس.

الأمر ذاته يظهر في مرسوم قسطنطين بعد المجمع. ينقل أوبتز عبارة مختصرة: «*ἵνα ἡ ὁμόνοια τῆς ἐκκλησίας διαμείνῃ*»، أي "لتبقى وحدة الكنيسة". أما فرناندیز فيعتمد صيغة أكثر ثراءً تقول:

«*ἵνα τὸ ὁμόθυμον καὶ ἡ εἰρήνη τῆς ἐκκλησίας φυλάττοιτο*»، أي "ليُحفظ اتحاد الرُّوح وسلام الكنيسة". الفارق في اللَّفظ يكشف عن أبعادٍ سياسيَّة–لاهوتيَّة ربما لم يلتقطها أوبتز.

حتَّى في قانون الإيمان النِّيقاويّ نفسه، ورغم تطابق عبارة «*ὁμοούσιον τῷ Πατρί*»، يُظهر فرناندیز تفاصيل نصّيَّة طفيفة مثل أداة الرَّبط «*δὲ*» في «*ἀναθεματίζομεν **δὲ** τοὺς λέγοντας…*» هذه الإضافة الصَّغيرة تُلمِّح إلى أنَّ هذه النُّصوص لم تكن جامدة، بل عاشت في تقاليد متعدِّدة.

**ختامًا نقول،**

لم يكن لمجمع نيقية أثر عالمي فحسب، بل ترك بصمته بعمق في مصر. حيث كانت الإسكندريَّة مركز النِّزاع الأريوسيّ، ومنها خرجت الصِّياغة اللَّاهوتيَّة التي دافع عنها القدِّيس أثناسيوس الرَّسوليّ. كذلك، تزامن المجمع مع الأزمة الميليتيَّة في مصر، وهو ما يجعل دراسة نصوص هذه الفترة كما في هذا العمل دراسةً أساسيَّةً لفهم التَّاريخ القبطيّ. لذا نرى أنَّ هذا البُعد المصريّ يجعل من الكتاب مرجعًا مُهمًّا للباحث العربيّ عامَّة، والمصريّ خاصّةً، إذ يربطنا مباشرة بمصادر تعكس جذور تراثنا الكنسيّ. ونؤكِّد أنَّ ترجمته أو دراسته بالعربيَّة ستسهم في إعادة إحياء التُّراث المسيحيّ العربيّ–القبطيّ.

في الأخير نقول، إنَّ هذا العمل يمثل إضافة ثريَّة للمكتبة الأكاديميَّة، لأنه لم يكتفِ بتقديم النُّصوص فحسب، بل يعيدها إلى سياقها التَّاريخيّ، ويضعها في مقارنة منهجيَّة مع طبعات سابقة. من هنا، أرى أن الجمع في القراءة بين هذا العمل وعمل أوبتز –على سبيل المثال– يضمن للباحثين صورة أشمل وأكثر توازنًا. أمَّا في السِّياق المصريّ، فإن قيمة هذا الكتاب لا تقتصر على البحث الأكاديميّ فحسب، بل تنسحب إلى التَّعليم الكنسيّ واللَّاهوت العمليّ، إذ يساعد على ربط الحاضر بجذور العقيدة الأولى.

**لائحة المراجع**

Ayres, Lewis. *Nicaea and Its Legacy: An Approach to Fourth-Century Trinitarian Theology*. Oxford: Oxford University Press, 2004.

"Documents Concerning the Melitian Schism." FourthCentury.com. Accessed September 6, 2025. https://www.fourthcentury.com/documents-concerning-the-meletian-schism.

Fernández, Samuel. ed. *Fontes Nicaenae Synodi: The Contemporary Sources for the Study of the Council of Nicaea (304–337)*. Paderborn: Brill | Schöningh, 2024.

"First Council of Nicaea (325)." *Encyclopaedia Britannica*. Accessed September 03, 2025. https://www.britannica.com/event/First-Council-of-Nicaea-325.

Opitz و Hans-Georg. *Urkunden zur Geschichte des arianischen Streites*. Athanasius Werke, vols. 3.1–2. Berlin: De Gruyter, 1934–1935.